

دور الإجازة العلمية في إبراز التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط 2-10هـ / 8-16م

The role of an academic degree in highlighting the cultural history of the Middle Maghreb

2-10 AH / 8-16 AD

علي عشي¹

جامعة باتنة 1، ali.achi@univ-batna.dz.

تاريخ الإرسال: 2025 / 09 / 13 ؛ تاريخ القبول: 2025 / 10 / 21 ؛ تاريخ النشر: 2025 / 12 / 15

الملخص باللغة العربية:

يهدف هذا المقال إلى تبيان أن الإجازة هي شهادة تمنح من الشيخ إلى طالبه يسمح من خلالها له بنقل معارفه وكتبه إلى طلبة آخرين، وللإجازة أدوار كثيرة ومرام عديدة أهمها الحصول على السند العالي، كما أن الإجازات تمثل لونا من الوثائق التاريخية عظيم الفائدة.

ويكفي لتبيان ذلك أن تتطلع على كتب الطبقات والمعاجم، ومؤلفات التراجم الأخرى، لتكتشف التراث الاسلامي الضخم متمثلا في مختلف الإجازات في العلوم العقلية والنقلية، وما تصفه لنا عن حياة الشيوخ والطلبة ومختلف الكتب والفهارس والدروس والحواضر الاسلامية، ومختلف هجرات وتحركات العلماء.

سنحاول في هذه الورقة تبيان دور الإجازة في نقل المعارف والحفاظ على تراجم الشخصيات والتعريف بالكثير من المصادر والدراسات القديمة دون أن ننسى ما لها من أهمية في اطلاقنا على المناهج السائدة وطرق التدريس ومختلف العلوم.

لهذا ستكون إشكاليتنا تتمحور حول دور الإجازة في إعطائنا صورة حقيقية عن الواقع الثقافي والعلمي لمجتمع ما خلال فترة زمنية محددة، أم أن دورها يبقى محدود ويقتصر على شخصيات فقط وبالتالي تكون إشكاليتنا ب هل تعكس لنا هذه الإجازات حقيقة الواقع العلمي لمجتمع ما خلال فترة محددة ؟

الكلمات المفتاحية:

إجازة؛ شهادة؛ مغرب أوسط؛ وثائق تاريخية؛ علوم.

¹ المؤلف المرسل: علي عشي

Abstract: Cet article vise à démontrer qu'une ijazah est un certificat délivré par un cheikh à son élève, lui permettant de transmettre ses connaissances et ses écrits à d'autres élèves. Une ijazah a de nombreux rôles et objectifs, le plus important étant d'assurer une chaîne de transmission élevée. De plus, les ijazahs constituent une forme de documentation historique de grande valeur. Pour le démontrer, il suffit de parcourir les manuels de cours, les dictionnaires et autres ouvrages biographiques pour découvrir le vaste patrimoine islamique représenté par les diverses ijazahs dans les sciences rationnelles et transmissibles, et ce qu'elles décrivent de la vie des cheikhs et des élèves, ainsi que les divers livres, index, leçons et centres islamiques, et les diverses migrations et mouvements de savants.

Nous démontrerons le rôle de l'ijazah dans la transmission du savoir et l'introduction de nombreuses sources et études anciennes, sans oublier son importance pour nous informer sur les programmes d'études, les méthodes d'enseignement et les différentes sciences en vigueur. Notre question porte sur le rôle de l'ijazah dans la représentation fidèle de la réalité culturelle. Ces ijazah reflètent-elles la véritable réalité scientifique d'une société donnée à une époque donnée ?

Keywords: Vacances ; Attestation ; Maghreb central ; Documents historiques ; Sciences.

مقدمة:

اهتم الطلبة والعلماء معا بالحصول على الاجازة أو منحها، باعتبارها وثيقة علمية تشهد بتمكن الطالب من عدة كتب وعلوم، لهذا كانت الاجازة تقليد علمي سعى إليه كل طالب للعلم، حتى تفتح أمامه أبواب التدريس، والتوسع في العلم، فكانت بحق ظاهرة حضارية وطريقة علمية فريدة من نوعها انتشرت في العالم الاسلامي، كإحدى طرق التلقين وانتقال العلوم.

ومهما يكن، فإن هذه الاجازات تمثل أيضا لونا من الوثائق التاريخية عظيم الفائدة، ويكفي لبيان ذلك أن نتطلع على كتاب الصلة لابن الأبار، ومؤلفات التراجم الأخرى، لتكتشف التراث الاسلامي الضخم متمثلا في مختلف الاجازات في العلوم العقلية والنقلية، وما تصفه لنا عن حياة الشيوخ والطلبة ومختلف الكتب والبرامج والدروس والحواضر الاسلامية، ومختلف هجرات وتحركات العلماء.

ومن هنا يمكننا معالجة الاشكالية التالية: كيف ساهمت الاجازة العلمية في التعريف بالحياة الفكرية وكتابة التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط ؟ وهل تعكس لنا هذه الاجازات حقيقة الواقع العلمي للفترة ؟

ما هي صور تداول الاجازة في بلاد المغرب ؟ ومساهمتها في ازدهار الحياة الفكرية بين أمصار بلاد المغرب ؟

كيف كانت الاجازة تعوض الشهادة ؟ وما هي طرق منحها ؟ وكيف حققت الاجازة مكانة كبيرة في النظام التربوي التعليمي ببلاد المغرب ؟

وهل كانت تقدم في بعض الاحيان مجاملة أم تمنح عند تحقيق الكفاءة ؟ أو لنقل الاجازة العلمية بين الصدق والتزييف ، أو منح الاجازة بين التساهل والتشديد ؟ كلها تساؤلات واشكاليات هامة سنحاول الاجابة عنها من خلال هذه المقالة التي تسعى إلى عدة أهداف منها:

-إبراز دور المؤرخ في استغلال الاجازات من أجل كتابة التاريخ العلمي والثقافي والفكري للمنطقة

-إظهار جهود العلماء ودورهم في الحفاظ على الكتب العتيقة والسند العالي.

-إعطاء صورة واضحة عن أنواع الاجازة وأهميتها.

1- الاجازة العلمية تأصيل لغوي واصطلاحي:

تبادل علماء المغرب الأوسط الزيارات العلمية بينهم طلبا للعلم والسند العالي والمشيخة ولمزيد من المعرفة رغبة في الحصول على الاجازات لأن الاجازة تدل على المستوى العلمي وعلى تعدد المشايخ والمشارب، وتجعل من الطالب كثير الرواية عال السند .

لم تكن الشهادات العلمية معروفة كما هو عليه الحال في أيامنا هذه، وكان لزاما على من يريد أن يكون معلما أن يواظب على حضور حلقات الدرس، لكي يتحلى بقدر كاف من العلوم تؤهله لأن يتصدى لمهنة التدريس، ولن يتم له ذلك إلا إذا حصل على إجازة من معلمه، وإذا تأكد المدرس من استيعاب طالبه للعلم الذي عهد له إليه، كتب له شهادة على الورقة الأولى أو الأخيرة من الكتاب الذي سوف يدرسه، وسبق له دراسته والإحاطة به، وأجاز له تدريسه (مروان عبد الملك، 2001: 42)

1.1- الإجازة لغة:

من فعل جوز جوازا وإجازة وأجاز غيره، أي سوغ له (ابن منظور، 1967: 261) ولذلك يقال جواز الماء إذا استعمل لسقاية الماشية والأرض، وجاء في كلام العرب اسجرت فلانا فأجازني أي أنه سقاني ماءً لأرضي وماشيتي، لهذا شبه طالب العلم الذي يسأل العالم أن يجيزه علمه، كما تعني الاجازة النفاذ والتطبيق حين يقال جاز العقد أي

نفذ ومضى على الصحة كما تعتبر الإجازة مشتقة من التجوز وهو التعدي والعبور والانتقال، فكأنه عدى روايته حتى أوصلها للراوي عنه (ابن فارس ، 2003 :213).

2.1- الإجازة في الاصطلاح:

هي السماح والاذن و التسويغ من قبل المعلم والشيخ لتلميذه بالتحدث عنه وبرواية مسموعاته أو مؤلفاته حتى ولو لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه وتكون الإجازة لفظاً أو خطأ بقوله: "أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني أو ما صح عنه من مسموعاتي" (الحافظ العراقي ، 1988 :208) وذكر الكتاني أن الإمام السمني اعتبر الإجازة أنها تقيد الاخبار بإمكانيات ومؤهلات التلميذ من قبل شيخه وهي تتوفر على الأركان الأربعة وهي: المجيز والمجيز له والمجاز به ولفظ الإجازة (الكتاني ، 1990 :129)

لهذا اعتبرها من الهبة والعطية، فأجازته بمعنى وهبه وأعطاه، وهذا يدل على أن اشتقاق الإجازة بهذا الاسم لتعني كل ما يمنحه الشيخ لتلميذه الذي تمكن من العلوم التي درسها وعلمه إياها، لأن التلميذ إذا أنس من نفسه القوة الممثلة في فهمه وحفظ ودرايته للعلم والقدرة على الافتاء والتدريس و الرواية طلب من شيخه أن يجيزه أي يسمح له (أحمد رمضان ، 1985 :14). بذلك عدت رخصة كتابية أو شفوية تسمح للمتعلم بأن يقوم مكان معلمه وباسمه بشرح كتاب معين أو جميع كتبه التي كان يعلمها، لكن الرخصة الكتابية كانت أكثر وقعا واعترافا بوجود الأثر عكس الشفوية التي قلت أهميتها باعتبارها عرضة للكذب والتزوير (برونشفيك ، 1988 :379)

ويعرفها البعض الآخر بأنها عبارة عن موافقة وإذن في الرواية إما لفظاً أو كتابة، تم اللجوء إليها عندما تم تدوين كتب الحديث، ولم يعد في مقدور الشيخ أن يعقد مجلس إقراء، ولا في استطاعة الطالب الجلوس عند الشيخ ليسمع منه كل مروياته، فرخصوا لمن أحضر كتاباً قد قوبل على نسخة الشيخ أن يروي عنه وإن لم يسمع منه ذلك) (أي أن الإجازة هي شهادة للطالب تثبت قدرته على نقل العلم (زناتي، 2010 :63)

ويؤكد أبو القاسم بن سعيد العقباني(ت871هـ/1467م) على ضرورة الإجازة: "في رواية الأخبار والإنشاءات المتواترة"، ولا يراها كذلك في طالب العلم والفتيا، وورد ذلك في إحدى فتاويه التي كانت إجابة على سؤال أحدهم (الونشريسي، 1981 :236)، أي أن الإجازة بدأت في علم الحديث والقرآن، ولكنها بمرور الوقت انتقلت الى التاريخ والأدب واللغة، ثم إلى العلوم العقلية كالطب والصيدة، و انتقلت كذلك الإجازات العلمية إلى الطرق الصوفية، فهناك روايات تذكر أن هناك شيوخ يجيزون تلاميذهم بحمل السبحة والخرقة الصوفية والانشاد والقيام بالطريقة والضيافة ونحو ذلك من مظاهر الدخول في حضرة الشيخ والتعلم عليه ليصبح احد المريدين.

لهذا نجد تعريف الإجازة يختلف حسب الجهة التي تقوم بها فعند الصوفية بأنها إذن الصوفي إحدى الطرق الصوفية لمريديها بالخلافة، أو بالتاج، أو أن يؤذن له في تلقين أورادها للمريدين، أو في التربية والارشاد، وفق تعاليم تلك الطريقة (الحفناوي، 1991: 458)، وعلى المتفق بأن الإجازة إحدى أنواع التحمل والاداء عند المحدثين، وإذن في الرواية، والتصريح بها لفظاً أو كتباً تفيد الاخبار الإجمالي عرفاً، وبأنها شهادة موثقة سارت العادة أن يقدمها محدث أو فقيه أو عالم إلى تلاميذ العلم، وبذلك يُسمح للمتعلم أن يصبح مُعلماً بموجبه في رواية الحديث أو الفتوى أو مزاولة التدريس في كل ما أُجيز (الخطيب، 1996: 18).

2- ظهور الإجازة وشروطها:

لقد اختلف المؤرخون والمحدثون عن تاريخ ظهور الإجازة فهناك من يرجعها إلى عهد الرسول صل الله عليه وسلم من خلال تركيته لبعض أصحابه لحسن قراءتهم وجودتها وأعتبر ذلك منه إجازة لفظية، وهناك عدة نصوص تبين ذلك حتى أضحت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بالأهلية في الإقراء، وهناك البعض الذي يرجع ظهور الإجازة العربية الاسلامية إلى عصر الدولة العباسية (السيوطي، 1426 : 273)، وتستمر إلى يومنا هذا رغم بداية اختفائها نظراً لحلول الشهادات الجامعية الاكاديمية بدلا منها.

لقد كان الحديث في البدء يروى شفاهياً من الفم للأذن، دون أن يأخذ الأمر شكلاً محدداً بين الرواة، ولكن عندما بدأ التصنيف والتدوين بعد أجيال ونشأت المذاهب الفقهية، لوحظ أن الحديث تضخم، وأن الأمر أصبح واجباً النظر فيه، وهكذا نشأ علم نقد الاسناد، ومن بين وسائل الاحتياط أن يشار كتابة إلى واقع المعتقد بأن فلانا سمعها عن أسلافه، وعلمها لآخر كي يرويهما للقادمين، مع الإشارة إلى الوسيلة التي تلقى بها الرواية سماعاً أو قراءة، وكان ذلك بمثابة شهادة وإجازة، خاصة من الاساتذة المشهورين.

واختلف العلماء في الإجازة، فأجازها قوم وكرهها آخرون، والذين أجازوها قالوا لا بد أن يكون المُجاز معيناً ومضبوطاً أو معلوماً محفوظاً، وأن الذي أجاز عالماً كبيراً وأستاذاً فذاً بطرق هذا العلم، حتى يضمن أن التلميذ المجاز أميناً وحافظاً لما أجاز له الشيخ، وأنه لم ينقص من إسناده، ولم يضيف من عنده ما لم يقدمه له أستاذه، قال ابن البر "رأيت قوماً وقعوا في مثل هذا وما أظن الذين كرهوا الإجازة، كرهوها إلا لهذا" (ابن عبد البر، 1994: 1159).

وعموماً يمكننا وضع شروطها من أجل قبول الإجازة والرواية بها، سواء في المجيز أو المجاز وهي:- أن يكون الفرع وهو ما يحمله الطالب معارضاً بالأصل وهو ما قدمه له الشيخ حتى كأنه هو- وأن يكون المجيز شيخاً مقتدراً في علمه عالماً بما يجيز ثقة في روايته

ومعروفا بالعلم-وأن يكون الطالب المجاز من أهل العلم حتى لا يضع العلم إلا عند أهله (ابن خير ، 1310 : 15).

لهذا قال ابن خير الاشبيلي أن "الاجازة أمر ضروري في الرواية، وبها تتم وتكمل، وإلا كانت ناقصة لا محالة...فلا غنى لطالب الحديث عن الاجازة سمع ما يحمله عن المحدث أو عرضه عليه أو سمعه بعرض غيره لجواز الغفلة والسنة والإسقاط والتصحيح والتبديل عليهما أو على أحدهما، فإن كان المحدث هو القارئ بلفظه فجازئ السهو على المستمع، وذهاب ما يقرأ عليه، وإن كان غيره فجازئ أن يسهو الذي يقرأ عليه، فإذا أضيفت الإجازة إلى السماع أو العرض احتوت الإجازة على جميع ما تقع فيه غائلة من هذه الغوائل" (ابن خير ، 1310: 16)

لقد ولدت الاجازة في ظروف خاصة، وسارت على خطى التقاليد الأولى في حالات السماع أو القراءة، واستخدموا فقط لفظ الاجازة عندما يريد الأستاذ أن يأذن لمن يسمعه، أو لم يقرأ عليه، وهذه هي الاجازة الذاتية ولكن الطالب قد يسمع، أو يقرأ جانباً من الكتاب ثم يتوقف عن الدرس مضطراً، حينئذ يشهد له الأستاذ بالجانب الذي سمعه منه، أو قرأه عليه، ويجيزه في الباقي، ويجمع في طبيعتهما، ولا تقدم الاجازة إلا بعد القراءة على الشيخ المتمكن الذي سيجيزه خاصة خلال المراحل الأولى من ظهورها، وملازمته مدة طويلة بل أعواماً في بعض الأحيان، ومناقشته في مسائله، في بعض كتبه، وقد يقرأ المجاز على الشيخ بعض هذه الكتب، أو كتب أخرى، كصحيح البخاري و المهدونة أو الكتب الستة، وبعض التفاسير ونحو ذلك (سعد الله، 1998: 40)

وقد سؤل الامام مالك عن عالم يقول هذا كتابي فاحمله عني وحدث بما فيه، أنه لا يجوز ذلك ولا يعجبني، لأن هؤلاء إنما يريدون الحمل الكثير بالإقامة اليسيرة (ابن عبد البر، 1994)، وهذا الرد جاء لشخص رحل لطلب العلم وإنما رحلته وجلوسه بين الشيخ مدة قصيرة، فما بالك لمن لا يرحل إطلاقاً ويطلب الاذن والاجازة.

وصيغ الاجازة في العصور الأولى كانت بسيطة ودون ادعاء، ومناسبة تماماً للتسليم الكامل بالواقع، لكنها بدأت تتغير، وسنجد صدى ذلك عند أبي العباس الغمري، من أهل سرقسطة، الذي له رحلة إلى المشرق، لقي فيها ألف شيخ ومحدث وفقهه، وألف كتاباً سماه الوجازة في صحة القول بالإجازة، وتوفي بالدينور سنة 392هـ/1002م (الضبي، 1884: 466) وفي كتابه يحث على مثل هذه الاجازات العلمية، ويرى أنها غير صادقة تماماً وأن الزيف قد شابها.

ومع مرور الزمن أخذت صيغ الشهادات والاجازات التي تعطى تزداد زيفاً، وبعض الأساتذة أقحم عليها جملاً رنانة من الثناء على تلاميذه، وبعضهم تجاوز النثر العادي فسطروها سجعا، وآخرون حرروها قصائد مطولة سلكت طريقها إلى مدونات التاريخ، مثل

الإجازة التي أوردتها المقرري في نفعه، أي أنه هناك من العلماء من يرى عدم جواز تقديم الإجازة، بل رآها ابتداءً ليس له ما يبرره في التعليم، فقد كان عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ثابت الأموي خطيب المسجد الجامع بشاطبة، رجلاً فاضلاً، زاهداً ورعاً منقبضاً، شهر بالخير والصالح سمع منه جماعة رحلوا إليه، واعتمدوا عليه، ووصوفه أنه امتنع من منح الإجازة لهم (القاسم، 2010: 440)

وفي نهاية هذا التقديم نقول أن الإجازة لا تجوز إلا للمتمكن من العلم والكتاب، والحاذاق بها، ويعرف كيف يتناولها ويجب أن تكون في شيء محدد معين - ومعروف لا يشكل إسناده.

3- أنواع الإجازة:

لقد ذكر القاضي عياض السبتي اليحصبي (ت544هـ/1149م) أربعة أشكال رئيسية لانتقال العلم والمتمثلة في السماع، والقراءة، والإجازة والمناولة (عياض، 1970: 88-107)، كما تمنح الإجازة بكل أنواعها بطريقتين: إما بالمشافهة أو بالتحريير والكتابة، منها الإجازة العامة أو الكلية وإجازة معين لغير معين، وإجازة معين لمعين " (القليصادي، 1978: 68).

والإجازة العامة هي منح الإجازة لكل الناس وكل من أراد الاطلاع على علم ما أو كتاب ما، فهي ليست مخصصة لفرد ما، ولا يحددون فيها شخص ما أو فرد معين، أو إلى كتب مدونة معينة، وإنما يجيزونها للكل، ولكل المسلمين، في إقليم معين أو حتى في العالم كله، وهي نوعان واحدة عامة في المادة، وخاصة بالنسبة للأشخاص الذين تمنح لهم، وأخرى عامة في الأشخاص وفي المادة، ولا ينطبق عليها المصطلح بدقة، وفيها يجيز كل المسلمين (خوليان، 1994: 122)، وقد أورد كتب التراجم أمثلة عنها منها إجازة محمد بن أحمد بن محمد بن قرلمان المصنف حيث سأله أبو عبد الله بن عبد السلام أن يجيز له ما رواه وما استجاز له أبوه وما صنف، وقال له نعم قد أجزت لك جميع ذلك (ابن الأبار، 1886: 121).

وقد سأل ابن الوزان أبو الحسن محمد بن أبي الحسين تلميذ أبو الوليد بن رشد الجد أن يستجيزه جميع ما يحمله من الكتب المؤلفة في ضروب العلم، فتبسم ابن رشد ثم قال قد أجزتك ذلك كله ولجميع من سألت، من أحب الحمل عني من جميع المسلمين، حيث كانوا نفعنا الله بذلك، وجعله لوجهه (ابن خير، 1310: 453)، وروى بالإجازة العامة عن السلفي محمد بن قاسم بن منداس أبو عبد الله (ت643هـ/1245م) البجائي، من أهل الجزائر، وأصله من أشير، النحوي، قال ابن الأبار وأجاز لي (ابن الزبير، 1984: 356)، كما ذكر عبد الرحمن ابن خلدون في رحلته بعض العلماء الذين أجازوه ومن بينهم الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي، قال عنه قرأت عليه القرآن العظيم بالجامع الكبير بين

القراءات السبع من طريق أبي عمر...وسمعت عليه عدة كتب وأجازني بالإجازة العامة (ابن خلدون، 2000: 513).

أما النوع الثاني فهي الإجازة لمعين في غير معين، مثل أن يقول: "أجزت لك أو لكم جميع مروياتي، أو جميع مسموعاتي" وما شابه ذلك، والخلاف في جوازها كبير، بسبب عدم ضبط وتقييد الشيء المجاز (فياض، 2003: 30)

النوع الثالث هو إجازة لغير معين، وتكون عندما يقول المجيز: "أجزت للمسلمين أو أجزت لكل الناس، أو أجزت لمن أدرك زمانني...وغيرها من الصيغ، مثل ما فعل أبو محمد بن سعيد الاندلسي الذي أجاز لكل من دخل قرطبة من طلبة العلم (ابن الصلاح، 1326: 72-73).

والنوع الرابع هو الإجازة للمجهول أو بالمجهول، ومن أمثلة ذلك قول الشيخ: "أجزت لعلي بن محمد" وفي وقته جماعة مشتركون في هذا الاسم، والنسب، ثم لا يعين المجاز له منهم، أي لا يعين ماذا أجاز، أو يقول أجزت لفلان أن يروي عني كتاب السنن، ولم يحدد أي كتب السنن المعروفة، ومن الواضح أن الفقيه ابن الصلاح اعتبرها إجازة فاسدة، للجهل بالمجاز له، أو بالمادة المجازة (فياض، 2003: 33)

النوع الخامس من أنواع الإجازة الإجازة للمعدوم، مثل الإجازة للطفل الصغير، ومثاله: أن يقول: أجزت لمن يولد لفلان (ابن الصلاح، 1326: 75-77) وهذا نوع ساد في قوم من المتأخرين، واختلفوا في جوازه كثيرا.

والنوع السادس من الإجازة: إجازة ما لم يسمعه المجيز ولم يتحمله أصلاً بعد، ليرويه المجاز له إذا تحمله المجيز بعد ذلك، وفي هذا يحكى عن أبي الوليد يونس بن مغيث قاضي قرطبة أنه سئل الإجازة بجميع ما رواه إلى تاريخها وما يرويه بعد، فامتنع من ذلك، فغضب السائل. فقال له بعض أصحابه: يا هذا يعطيك ما لم يأخذه ؟ هذا محال! قال عياض: وهذا هو الصحيح (عياض، 1970: 106).

والنوع السابع من أنواع الإجازة: إجازة المجاز. مثل أن يقول الشيخ (أجزت لك مجازاتي، أو: أجزت لك رواية ما أجز لي من روايات (ابن الصلاح، 1326: 78-79) وأما إجازة معين في معين مثل أن يقول المجيز لطالب الإجازة "أجزت لك الكتاب الفلاني، أو ما اشتملت عليه فهرستي هذه" فهذا أعلا أنواع الإجازة المجردة عن المناولة، وقد أجازها أغلب المؤرخين والمحدثين (فياض، 2003: 32)، كقوله أجزت لك البخاري، فالمعين الأول هو صحيح البخاري، لأنه معلوم والمعين الثاني هو طالب الإجازة.

4- أهمية الإجازة في التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط:

إن الهدف الأسمى الذي كان يسعى من ورائه طلاب العلم من خلال الرحلة، هو الحصول على الإجازة في مختلف العلوم، والاتصال بالعلماء والأخذ عنهم، والحصول على

الإجازة والرواية منهم، وذلك حرصا على السند العلمي، الذي بفضلله يصل الطالب بمؤلفي كتب العلوم خاصة علم الحديث.

والإجازة العلمية فيها دلالة على رفعة المستوى العلمي لمن تمنح له، فهي لم تكن تمنح إلا لذوي المعرفة يؤذن لهم في روايتها، ويشترط في الإجازة أن يكون المجيز حذقا متمكنا من العلم بما يجيز به، معروفا بالعلم، صالحا في دينه، وأن يكون المستجاز من طلبة العلم متمسكا به حتى لا يوضع العلم في غير أهله (مروان عبد الملك، 2001: 42) تعتبر الإجازة مصدر لتراجم المغرب الأوسط، من خلال أسماء الأعلام، المعروفين، والمجهولين، وقد تسلط الضوء على جوانب مهمة من حياة المجيز والمجاز. وتعد الإجازة من بين الطرق التي تزود الباحثين وطلبة العلم بالمعلومات التاريخية والجغرافية عن المغرب الأوسط، وعن مؤسسات التعليم به، وأهم الشيوخ، وعن مصادر الكتب التي كانت تدرس، وعن المناهج وطرق التدريس وحلقات البحث وطرق انتقال المعرفة، وهجرة العلماء من وإلى المغرب الأوسط وغيرها (فياض، 2003: 45) كما تبين لنا الإجازة التي يفصل فيها المجيز العلوم التي نقلها للمجاز، لتلقي الضوء على التاريخ الفكري للمغرب الأوسط، والعصر من خلال إبراز المذاهب الفقهية وحتى الكتب المتداولة في المنطقة، مما يساعدنا على استنباط المقررات الدراسية، والمناهج المتبعة به.

وذكر الكتاني في كتابه أن الإجازة تحرص على بقاء السند العالي، وهي في العلم بمثابة رأس مال كثير، والمحافظة على الشريعة الإسلامية والحديث النبوي إلى يوم القيامة، وهي التي أهملت في بلاد المغرب خلال هذا العصر، مما تسبب في إهمال السند والإجازة، واعتقدوا أن العلم بمجرد الاطلاع والحيازة والتدريس (الكتاني ع، 1982: 81-82).

ويعتبر علماء الحديث من المتشددین في منح الإجازة إلا للطلاب النجيب، والذي أثم بأسانيد كتب هذا العلم وحفظ رواياته، والشيخ لا يمنحها إلا للطلاب الواسع المعرفة المتمكن في مادته محيطا بالتخصص الذي يريد أن يجازي فيه إجازة تكون إذنا له في الرواية عن شيخه، أو للدخول بها ميدان التعليم أو لممارسة الفتوى أو القضاء (المسلوتي، 1989: 245).

فأصبح منح الأستاذ الشهادة "الإجازة" عملا قائما بذاته، وشائعا أيضا، وكان ذلك يسجل في الكراريس التي يدرس بها الطالب، ويخط الأستاذ الجميل، أو في شهادة منفصلة، أو على جلد الرق المدبوغ حتى تدوم وتستمر كإجازة يوسف بن محمد بن سعيد الجذامي بالمغرب الأوسط (الضبي، 1884: 473) ومن كل هذا نستنتج أن للإجازة فائدتان: -استعجال الرواية عند الضروريات.

-الاستكثار من المروي حتى لا يكاد أن يشذ عن استكثر من الروايات (الكتاني ي، 1990: 142-143)

لكن الاجازة أصبحت بالتقادم سهلة المنال ، نظرا لتساهل الشيوخ في منح الاجازة ، فلم يعد هناك تحقق في كفاءة ودراية المجاز بالعلوم ، ولا في سلوكهم وأخلاقهم ، كما أن الاجازة لم تعد مقرونة بالقراءة والمطابقة كتابة أو مشافهة ، أو حتى بما قرئ من الكتاب ، فقد أصبحت تمنح مجاملة بالمراسلة دون الحضور والسماع ليس بالمغرب الأوسط فحسب بل في كافة البلاد الاسلامية .

كما أنها أصبحت تمنح مطلقة (دون تعيين) في كل العلوم وأغلب الكتب التي يعرفها المجيز سواء قرأها المجاز أو سمعها أم لا ، وهذا التهاون في منح الاجازة نتج عنه ضعف المستوى العلمي لأن هؤلاء الطلبة المجازين أصبحوا يدرسون ويمنحون بدورهم الاجازات لغيرهم (سعد الله ، 1998: 39-40) وهو حال المستوى التعليمي والأكاديمي اليوم في الدول العربية .

كما خضعت الاجازات للمجاملات بين العلماء فطالب الاجازة يطلب من المجيز إجازته ببيت شعري أو برسالة يصفه باللقاب فاخرة ، كالبحر ، والمحيط والشمس والكوكب ، فيستجيب لهذا المديح والاطراء ، ولهذا وجه الشيخ الفكون القسنطيني انتقادا كبيرا للشيخ سالم بن محمد عز الدين السنهاوي المصري المالكي (ت1015م) الذي أجاز علي بن داود الصنهاجي القسنطيني وهو غير متمكن من علومه ومتونه (ابن الفكون ، 1987: 92-93) ، وهكذا أصبح بعض الشيوخ يمنحون الاجازة لمن حضر درسه ولو مرة واحدة فقط ، بل منحها البعض الآخر لمجرد أنه يعرفهم إشارة ، وأصبح الصديق يمكن أن يحصل على إجازة لصديقه ، والوالد لابنه ، حتى ولو كان طفلا يعيش على صدر والدته .

وذكر المقري التلمساني أن سبب رحلة الشيخ أبي حيان عن الأندلس أنه نشأ خلاف بينه وبين شيخه أحمد بن علي بن الطباع الذي كان يعرضه في الكثير من المسائل ، فألف أبو حيان كتابا سماه " الالماع في فساد إجازة ابن الطباع " فرفع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن نصر ، فقرر الهجرة من الأندلس سنة 679هـ / 1280م (المقري ، 1988: 583)

5-نماذج وأمثلة عن الاجازة:

لقد كانت تلمسان وبجاية منارتان للعلم وقبلة لمن يريد الإجازة والاستزادة والتعمق فيه ، بفضل المشيخة العلمية والفكرية المتميزة ، والمؤسسات التعليمية المنتشرة عبر أنحائها وسوف نذكر أمثلة عن علماء أجازوا لبعضهم أو طلبوا الإجازة أو منحها لهم بعض المشايخ ومنهم:

جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي، الحسني (كان حيا سنة 578هـ/1182م)، من أهل تلمسان، يكنى أبا الحسن، أجازة الكثير من علماء عصره، وروى عن أبي بكر بن خير، وأبي القاسم السهيلي، وأبي الوليد يزيد بن بقی، وأبي الحسن بن مومن، وأبي موسى عمران بن موسى التليدي، وغيرهم (ابن الأبار، 1886، ج 2: 7).

أما موسى بن حجاج، أبو عمران الأشيري (ت 589هـ/1193م) رحل إلى الأندلس وأقام بها من سنة 535هـ/1140م إلى سنة 540هـ/1145م، سمع من أبي محمد عبد الحق بن عطية وأبي عبد الله بن وضاح وأجاز له أبو القاسم بن رضى (ابن الأبار، 1886، ج 2: 378).

وقد لقي محمد بن عبد الرحمن التجيبي أبي عبد الله نزيل تلمسان (ت 610هـ/1214م) في طريقه للحج بسببة أبا محمد بن عبید الله، وبالمهدية أبا حفص عمر بن عتيق، وناولاه، وقاضيا أبا يحيى أبو بكر، وقرأ عليه وأجازوا له، ولقي عدة شيوخ في القيروان، ثم القاهرة، ثم بمكة، وأجازوا له ممن لم يلقه هو، أو لقي بعضهم وشافهه (الزركلي، 191: 2006).

ومن أجل الإجازة رحل الكثير من العلماء وطلاب العلم من المغرب الأوسط، إلى الحواضر الإسلامية، ومن الأمثلة الكثيرة الموجودة في المصادر التاريخية، منها أن محمد بن محمد الخشني استجاز الفقيه العالم أبا عبد الله محمد بن عبد الحق اليفرنى التلمساني (ت 625هـ/1227-1228م) وأجازة، كما لقي هذا الأخير كثيراً من أهل العلم والدين والزهد، فأخذ عنهم بفاس ومراكش وسببة واشبيلية والمشرق ومصر وأجازة من أهل المشرق، أبو طاهر السلفي، وابن عوف، والكركتي وأبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الخزرجي البوصيري، والتنوخي وغيرهم كثير كما أجاز له من أهل الأندلس أبو الحسن بن هذيل، وابن النعمة، وابن نمارة (الرعي، 1962: 170).

ونجد كذلك عينات أخرى من علماء المغرب الأوسط تلقوا الإجازة أو منحوها ومنهم ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1407م) حيث يقول: "وقد أذنت لمن رأي أو رأي من رأي، أن يحدث عني إن شاء الله بما شاء من مصنفاتي أو صح لديه من رواياتي" (برزاق، 2016: 292) وإجازة قاسم بن سعيد محمد العقباني (ت 854هـ/1450م) الذي رحل للحج في سنة ثلاثين وحضر بمصر إملاء ابن حجر واستجاز ابن حجر فأجازة، إضافة إلى إجازة محمد بن أبي القاسم المشدالي (ت 866هـ/1461م) بيجاية لأبي الحسن البلوي (البلوي، 1983: 425).

الخاتمة:

الإجازة من خلال كل ما تقدم تعتبر تقليد علمي اسلامي عام، تبناه شيوخ من حملة الحديث، ليتسع استعمالها في شتى أنواع العلوم وبطرق مختلفة ومتنوعة. لعبت الإجازة دورا مهما في حفظ سلسلة السند وربطها بالمصدر الأول الذي أخذ عنه الحديث، ويتم الربط المذكور حينما يذكر مانح الإجازة في إجازته، طرق روايته التي

تلقى عنها الحديث حتى يوصلها إلى النبي "ص"، ولم تقتصر على الحديث بل أنها ساعدت على حفظ سند الكتب، وطرق الرواية التي تلقى عنها الكتاب المذكور، حتى يوصلها إلى مؤلف الكتاب.

إن الإجازة إذن ورخصة، يمنحها الشيوخ لمن حمل الرواية أو العلم عنهم، وليست شهادة تعليمية يستدل بها على درجة تحصيل حاملها، وليس من الضرورة أن يكون الشيخ مانح الإجازة قد درّس التلميذ حامل الإجازة، بل يجوز أن يمنح شيخ إجازة لرواية مادة علمية عنه، دون أن يكون قد درّس المادة العلمية المذكورة لحامل الإجازة. كانت الإجازة إحدى صور التبادل العلمي والفكري في الحضارة العربية الإسلامية مساهمتها في نقل العلم عبر الأجيال، وفي كل الأقطار خاصة بلاد المغرب الأوسط، فكان تناقل العلوم لا يتم إلا عن طريق الإجازة، كما أن الشيوخ والمؤسسات العلمية تمنحها للرفع من الحركة الثقافية والعلمية.

تعدت الإجازة العلمية وثيقة تاريخية، ذات أهمية كبرى، لاسيما في المجال الثقافي، وتزداد أهميتها عندما تقل المصادر التي تغطي هذا الجانب، في فترة ما، لذلك ساهمت الإجازة العلمية في كتابة التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط خاصة والبلاد الإسلامية عامة، من خلال نقل طرق التلقين، وأهم الكتب المتداولة، وكذا أهم الشيوخ الذين كان لهم صيت واسع في العالم الإسلامي، كما قدمت لنا العديد من رحلات العلماء وهجراتهم من أجل الاحتكاك بالشيوخ ورفع السند.

اعتبرت الإجازة إثبات للكفاءة أو التأهيل، إلا أنها بمرور الوقت فقدت الكثير من أهميتها ومن قيمتها، نظرا لتساهل المجيزين في منح اجازتهم لكل من طلبها وحتى من لم يطلبها، دون التأكد من كفاءة ودراية المجاز بمختلف العلوم و الكتب والمنقولات ولا حتى معرفة أخلاقهم أو سلوكاهم، كما أنها لم تعد مرتبطة بالسماع والمشافهة والقراءة بل أصبحت تمنح بالمراسلة عن بعد، وتعطى مفتوحة في كل العلوم.

إن تردد طائفة من العلماء في قبول صحة الإجازة ومصادقيتها، لا يضعف من قيمتها كطريقة من طرق نقل الحديث، أو للتدريس، بل ونقل شتى أنواع العلوم الدينية من جيل إلى جيل

الهوامش والمراجع:

- ابن بشكوال، أبو القاسم. (2010). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها، ج1، تحقيق بشار عواد مغروف. تونس: دار الغرب الإسلامي.
- أبو القاسم سعد الله. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ج2. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- أبو بكر الاشبيلي ابن خير . (1310). فهرس ابن خير، ج1. اسبانيا: طبعة سرقسطة.

دور الإجازة العلمية في إبراز التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط 2-10هـ/16-8م

- أبو زكرياء ابن فارس . (2003). معجم مقاييس اللغة ، اعتنى به محمد عوض مرعب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- أبو عمر ابن الصلاح. (1326). المقدمة ، أو معرفة أنواع علوم الحديث. مصر: مطبعة السعادة.
- أحمد المقري. (1988). نفح الطيب من صن الأندلس الرطيب، ج 2، تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار صادر .
- أحمد البلوي. (1983). ثبت البلوي ، دراسة وتحقيق عبد الله العمراني. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- أحمد الونشريسي. (1981). المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج 8. الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية.
- أحمد ابن الزبير . (1984). صلة الصلة ، نشر محمد بن شريفة. الرباط: منشورات أكاديمية المملكة المغربية.
- أحمد أحمد رمضان . (1985). الاجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية ، من القرن 4-10/10-16هـ. مصر: منشورات هيئة الآثار.
- أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي. (1884). بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس. اسبانيا: مطبعة مجريط.
- القاضي عياض. (1970). الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، تحقيق السيد أحمد الصقر. القاهرة: دار التراث.
- أنور محمد زناتي. (2010). فهارس علماء المغرب والأندلس. دورية كان التاريخية ، ع 11، 63.
- جلال الدين السيوطي. (1426). الإقتان في علوم القرآن ، ج 1. المدينة المنورة: مركز الدراسات القرآنية.
- خيرالدين الزركلي. (2006). الأعلام ، ج 6. بيروت: دار العلم للملايين.
- ريبيرا خوليان. (1994). التربية الإسلامية في الأندلس ، أصولها الشرقية وتأثيراتها الغربية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي. القاهرة: دار المعارف .
- روبار برونشفيك. (1988). تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ترجمة حمادي الساحلي ، ج 2. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- زين الدين الحافظ العراقي. (1988). ألفية الحديث أو التبصرة والتذكرة ، تنقيح أحمد محمد شاكر. القاهرة: عالم الكتب.
- عبد الحي الكتاني. (1982). فهرس الفهارس والاثبات ، ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات ، ج 1، اعتنى به إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- عبد الرحمن ابن خلدون. (2000). العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج 7. لبنان: دار الفكر.
- عبد الكريم ابن الفكون. (1987). منشور الهداية ، في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، تحقيق أبو القاسم سعد الله. بيروت: دار الغرب الاسلامي.
- عبد الله فياض. (2003). الاجازات العلمية عند المسلمين. بغداد: مطبعة الإرشاد.
- علي الرعيني. (1962). برنامج شيوخه. دمشق: مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم.
- علي الفلصادي. (1978). الرحلة ، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان. تونس: الشركة التونسية للتوزيع.
- محمد ابن الأبار . (1886). التكملة لكتاب الصلة ، نشر فرانسيسكو قوديرا. مدريد: مطبعة روخس.

- محمد الحفناوي. (1991). تعريف الخلف برجال السلف ، ج 2. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- محمد ابن منظور. (1967). لسان العرب ، ج 2. القاهرة: دار الحديث .
- محمد مروان عبد الملك . (2001). صور التعليم والحياة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية. مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، مج 29، العدد 1، 42.
- مصطفى المسلوتي. (1989). الإجازة العلمية وإسهامها في الحركة الفكرية بالمغرب. مجلة دار الحديث الحسنية الرباط ، مطبعة المعارف الجديدة، ع 6، 245.
- مصطفى عبد الكريم الخطيب. (1996). معجم المصطلحات والألقاب التاريخية. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- نذير برزاق. (2016). الإجازة العلمية، دلالة المبنى والمعنى، رصد للحراك الفكري للعلماء ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط. مجلة عصور الجديدة، ع 23، 289.
- يوسف الكتاني. (1990). مدرسة الإمام البخاري في المغرب ج 1. بيروت: دار لسان العرب.
- يوسف ابن عبد البر. (1994). جامع بيان العلم وفضله، ج 2، تحقيق أبو الأشبال الزهيري. السعودية: دار ابن الجوزي.